الملتقى الوطني: التكامل المعرفي والمنهجي بين علوم اللغة والدراسات القرآنية

الاسم واللقب: حمزة قرد

الرتبة العلمية: طالب دكتوراه

مؤسسة الانتماء: جامعة باتنة1 كلية العلوم الإسلامية

علم النحو ومكانته في الاعجاز القرآني

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين المتفرّد بجلال وجهه تعظيما وتبجيلا، والصّلاة والسّلام على الصّادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يعدُّ القرآن الكريم من أهمّ الكتب السّماويّة الذي حوى الكثير من الأسرار والحكم والمعاني، على غرار الأحكام والعقائد ومكارم الأخلاق، فكان هو المصدر الأساسيَّ للتّشريع الإسلاميّ، والمنبعَ الرّئيسيَّ الذي يُستقى منه الأحكام، فكان هو الكتاب المقدّس الأسمى الذي لايأتيه الباطل ولا يشوبه غلط أو خطأ، وكيف لا وهو معجزة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم. إنّ إعجاز القرآن الكريم لم يكنْ وليدَ صدفةٍ، بل كان إعجازًا ربّانيًّا أصدح العربَ الأقحاح فأيقنوا بأنّه كلامٌ ليسَ من تأليف البشر ولا من صنيعهم، بل هو كلام صيغ بأجمل الأساليب وأحسنها. ومما زاد أسلوب القرآن إبداعا أسلوبه النّحوي الذي كان فيه جليّا بإتقانٍ كبير لتراكيب ومضامين دلالات الألفاظ والمعاني، فكا للنحو دورا كبيرا في فهم القرآن الكريم وإعجازه.

ومن هنا تتجلّى إشكالية البحث إبراز الإعجاز القرآني من المنظور النحوي، ونطر هذه الإشكالية قائلين: ما مكانة النحو في فهم الإعجاز القرآني؟

كما أنّ لهذا الموضوع أهمّية كبيرة جدّا إذ فحوى مضمونه حول الإعجاز القرآني وخاصّة في ظلّ انتشار أصواتٍ تلقي شبهاتٍ في كونِ القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم، ومثل هذه المواضيع تدحض هذه الشبهات وتبيّن أنّ القرآن الكريم كلام رب العالمين، كما أنّ الموضوع زاج بين الجانب الإعجازي والجانب النحوي فكان ذا ثمارٍ يانعة يُبيّنُ إسهام النّحو في فهم القرآن الكريم.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة؛ الأوّل كانَ خاصّا بالجانب النّحوي بوسم مفهوم النّحو وأهمّيته في فهم الكلام والنصوص، والثّاني خاصٌّ بجانب الإعجازي للقرآن الكريم باسم الإعجاز القرآني، والمبحث الأخير يبين مدى مكانة النحو في فهم الإعجاز القرآني، وسيأتي تفصيل ذلك في العرض.

المبحث الأوّل: مفهوم النّحو وأهمّيته في فهم الكلام والنصوص:

وفي هذا المبحث سنتعرّض إلى بسط كلام في تعريف النّحو وعلمه، وإبراز أهمّيته في فهم الكلام والنّصوص من خلاله، وذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف النّحو: وسنتطرّق إلى كلّ من التعريف اللغوي والاصطلاحيّ له كالتالي:

أ– لغة: وأذكر فيما يلي بعضا ممّا جاء في المعاجم في أصل هذه الكلمة:

قال ابن فارس (395هـ) في مقاييس اللّغة:" النّون والحاء والواو كلمة تدلُّ على قصدٍ. ونحوت نحوه. ولذلك سمي نحو الكلام، لأنّه يقصد أصول الكلام فيتكلّم على حسب ما كان العرب تتكلّم به. ويقال إن بني نحو: قوم من العرب. وأما أهل المنحاة فقد قيل: القوم البعداء غير الأقارب. ومن الباب: انتحى فلان لفلان: قصده وعرض له"[1].

قال ابن منظور (ت711هـ) في لسان العرب:" ثبت عن أهل يونان، فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم، أنهم يسمُّون علم الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحوا، ويقولون كان فلان من النّحويين، ولذلك سمي يوحنا الإسكندراني يحيى النّحوي للذي كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيين. والنَّحْوُ: إعراب الكلام العربي. والنَّحْوُ: القصد والطريق، يكون ظرفا ويكون اسما، نحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاه، ونحو العربيّة منه، إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنّسب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذَّ بعضهم عنها ردّ به إليها، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم..."[2].

وممّا سبق يتبيّن لنا المعنى اللّغويُّ لكلمة النّحو بأنّها **الطّريق والقصدُ**، وهما الأكثر شيوعا واستعمالا وقصدا عند إطلاق كلمة النّحو.

ب– اصطلاحا: للنّحو تعريفات كثيرة وغنية عن الحصر في هذا الموضوع، إلّا أني اخترتُ تعريفين من تعريفات القدامى وعليها تخرج التعريفات الأخرى من تعريفات المحدثين وسنذكر تعريفا لذلك، وكلّها في نفس الفلك تسبح مع اختلافٍ يسير من حيث مضمونه:

تعريف ابن جنّي (392هـ):" هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام بن محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، ج5، ص403.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج15، ص310.

بها وإن لم يكن منهم وإن شذّ بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوًا كقولك: قصدت قصدًا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم"[1].

تعريف الجرجاني (ت816هـ):" هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل: النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده"[2].

والملاحظ من هذين التعريفين أنّهما قد شملا علوم اللّغة من حيث التركيبُ والاعرابُ والنّسب كالنّحو والبلاغة والصّرف، فكان تعريفهما تعريفا عامّا. أما تعريفات المحدثين فهي أخصُّ من التي سبقتها، أذكر منها تعريفًا:

– النّحوُ علم تعرف به أحوال الكلمات العربية مفردة ومركبة والجمل العربية مفردة ومركبة[3].

ويُلاحظ من هذا التعريف أنّه خصّ النحو بِبُنى الكلمة والكلام وما يطرأ عليهما من تغيير[4]. إذن فالنحو علمٌ يختصُّ بدراسة أواخر الكلمِ من حيثُ الإعراب والنطق الصحيح على الوجه العربيّ المبين.

المطلب الثّاني: أهمّية النحو في فهمِ الكلامِ والنّصوص:

يعدّ النحو من أهمِّ الأدوات في فهم الكلام والنّصوص، إذ يعتبر أهمّ سبيل لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقّي، ويمكن اختصار هذا المطلب في هذه النقاط الآتية:

– النّحو وسيلة لفهم القرآن الكريم: إنّ النحو ضروريٌّ جدّا لفهمِ كلامِ الله تعالى، فهو السبيل الذي يحمي المتدبّر من اختلاف أوجه الكلام، ولذا نجد العلماء قد ذكروا أنّ من شروطِ المفسِّر أن يكون عالما بعلومِ اللّغة والإعراب حتّى يتسّر له الوصول إلى مرادِ الله تعالى دون تأويل في غير محلّه، وقد قال السّيوطيّ (ت911هـ) في هذا الباب:" وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدّة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللّسان إمّا حقيقة أو مجازا فتأويلُه تعطيلُه"[5]، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أهمّية النّحو في فهم القرآن الكريم.

أمثلة: وسأذكر بعض الأمثلة التي تبيّن ضرورة النّحوِ في فهم القرآن الكريم:

– قال الله تعالى:"**أَمْ كُنْتُم شُهدَاءَ إِذْ حَضَرَ يعْقُوبَ المَوتُ إِذْ قَالَ لِبَنيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي**"[6]، فلولا النّحو فلا يمكنُنا التّفريقُ الفاعلِ والمفعولِ بهِ، ولكنْ لمّا كانَ من قواعدِ النّحوِ أن يرْفع الفاعل ويَنصب المفعول اتّضح لنا جليًّا أنَّ "يعقوبَ" مفعولٌ بهِ، و"الموت" فاعلٌ.

---

[1] ابن جنّي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4،ج1، ص35.

[2] الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م، ص240.

[3] خالد حسن العدواني، دراسات في النحو والدلالة، ''soncag akademi''، أنقرة، 2021، ص64.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص65.

[5] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م، ج4، ص201.

[6] سورة البقرة، الآية 122.

– قال الله تعالى:" **وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**"[1]، فلو قالَ أحدُهم أن الله يتبرّأ من رسوله واستَشهدَ بهذه الآيةَ احتكمنا إلى إعرابها فنجِدُ أنّ "وَرَسُولِه" فيها ثلاثة أووجهٍ إعرابيّةٍ؛ الأوّلُ أنّه معطوفٌ على الضّمير في "بريءٌ" وما بينهما يجري مجرى التوكيد، والثّاني خبر مبتدأ محذوف؛ أي: ورسولِه بريءٌ، والثّالث هو معطوف على موضع الابتداء، وهو عند المحقّقين غير جائز؛ لأنّ المفتوحة لها موضع غير الابتداء بخلاف المكسورة، ويقرأ بالنّصب عطفا على اسم "إن". ويقرأ بالجرِّ شاذا، وهو على القسم، ولا يكون عطفا على المشركين؛ لأنّه يؤدّي إلى الكفر[2]. فكلّ هذه الدّلائل في فهم النّص هي قواعد نحوية.

– **النّحو أداةٌ للتّفريق بين المعاني المختلفة**: إنّ ممّا هو معروف أنّ اللغة العربيّة من أقوى اللّغات ممّا قد يقع المتلقّي في إشكال في الفهم والتأويل لتشابه المعاني وتقاربها، لكنّ يعدّ النّحو من أبرز الأدوات التي قد تزيل هذا الإشكال ويساعد في التّفريق بين المعاني المتداخلة في مختلف التراكيب اللغوية، "فإنّ اختلاف الحركات الإعرابية التي تتوعّر في أواخر الكلمات يترتب عليها اختلاف في الدلالات، وإذا كان النحو هو العلم الذي يحدّد العلاقات بين الكلمات في التراكيب اللغوية، ويبين وظائفها الدلالية، فإنّ الإعراب هو تلك الحركات التي تعد أعلاما لتبيان المعاني المختلفة"[3]، فالأساس في فهم الدّلالات هو النّحو، وقد أشار إلى هذا الزّجّاجيّ (ت337هـ) في الإيضاح لما تكلّم عن أهمّية النحو قائلا:" فإن قال قائل: فما الفائدة في تعلّم النّحو، وأكثر النّاس يتكلّمون على سجيتهم بغير إعراب، ولا معرفة منهم به، فيَفهمون ويُفهمون غيرهم مثل ذلك؟ فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التكلّم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدل ولا مغيّر، وتقويم كتاب الله عز وجل، الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النّبي صلى الله عليه وسلمن وإقامة معانيها على الحقيقة. لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب"[4].

مثال:[5] وسأذكر الآن مثالا لأربعة جملٍ لها نفس التّركيب لكنّها تختلف في المعاني، والجملة هي:" **أكرم النّاس أحمد**"، ويمكننا استخراجُ أربعة معانٍ من هذه الجملةِ على حسبِ حركات كلماتها هي كالآتي:

1- أكرمَ النّاسُ أحمدَ: والمعنى هنا أنّ النّاس هم الذين أكرموا أحمد.
2- أكرمَ النّاسَ أحمدُ: والمعنى هنا أنّ أحمد هو الذي أكرم النّاس.
3- أكرمُ النّاسِ أحمدُ: والمعنى هنا أنّ أحمد هو أكرمهم.
4- أكرمِ النّاسَ أحمدُ: والمعنى هنا: أكرمِ النّاسَ يا أحمد. أي: نأمر أحمد بإكرامِ النّاس.

---

[1] سورة التّوبة، الآية 03.

[2] ينظر: أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشره عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج02، ص235.

[3] محمد ملياني، علم النّحو وأهميته في صناعة المعاجم، مجلة إنسانيات، رقم17-18، 2022، ص88.

[4] الزجاجيّ، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الخامسة، 1406 هـ -1986 م، ص95.

[5] ينظر: مراد شوابكة، أهمية علم النحو، بحث منشور على موقع: www.mawdoo3.com

– معرفة اللغة العربيّة والوقوف على دلالاتها: يعتبر النّحو من أبرز علوم اللّغة العربية التي تقوم عليها، فلا يمكن أن يُتصوّر لعالم اللغة العربية أنّه يجهل النّحو، وقد قال ابن خلدون حين تكلم عن أسس اللسان العربي (ت808هـ):" أركانه أربعة وهي اللّغة والنّحو والبيان والأدب"[1]، فقد بيّن أنّ من شروط معرفة اللّغة العربيّة معرفة النّحو، وكذا فإنّ اللّغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتهم. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني. مثل الحركات الّتي تعيّن الفاعل أي المفعول من المجرور أعني المضاف ومثلي الحروف الّتي تفضي بالأفعال أي الحركات إلى الذّوات من غير تكلّف ألفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلّا في لغة العرب[2]، فدائما ما نجد أنّ اللّغويين يعتمدون على النحويين ويعتدّون بأقوالهم في تفسير كلام العرب، لأنّ اللّغة تقتضي بالضّرورة قوانين تسيّرها وتحفظ انتظامها، وهذا ما جعل عالما نحويا كالزجّاج يعتمد على أقوال النحاة وهو بصدد شرح المعاني وبيان مزاياها اللّغوية والبيانية[3].

المبحث الثّاني: الإعجاز القرآني:

وسنتطرق في هذا المبحث إلى مفهوم الإعجاز القرآني وأنواعه، كما الآتي:

المطلب الأوّل: تعريف الإعجاز القرآني:

وقبل أن نعرف الإعجاز القرآنيّ يجدر بنا أن نقف على تعريف كلٍّ من الإعجاز والقرآن في اللّغة والاصطلاح ومن ثَمَّ نعرّف الإعجاز القرآني باعتباره مركبّا:

أوّلًا: تعريف الإعجاز:

أ– لغة: الإعجاز في اللّغة من العجز، والذي يدلّ على الضّعف، ولذا سمّي الرّجل الكبير في السّن عجوزا لأنه يضعف ويصبح غير قادرٍ، ومن ذلك الإعجاز[4].

ب– إصطلاحا: ويتبين لنا بعد التعريف اللّغوي أنّ الإعجاز في الاصطلاح هو عجز الإنسان على فعل شيء ما، وقد تناول العلماء في هذا المبحث تعريف المعجزة لأنّ الإعجاز مشتقّ من المعجزة، وأذكر بعضًا من تعريفات المعجزة كما يلي:

- المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية[5].
- أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهدا على صدقه[6].

---

[1] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988 م، ج1، ص753.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد مليابي، المرجع السّابق، ص91.

[4] ينظر: ابن فارس، المرجع السّابق، ج4، ص232. وابن منظور المرجع السّابق، ج5، ص371.

[5] السيوطي، المرجع السابق، ج4، ص3.

[6] الزرقاني، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ج1، ص73.

- أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يجريه الله تعالى على يد نبيه، شاهدًا على صدقه[1].
- الأمر الذي يفوق طاقات البشر ويخرق قوانين الطبيعة وخواص المادة سلاحا للنبي صلّى الله عليه وسلّم رغم أمّيته ليتحدى به قومه[2].

ثانيا: تعريف القرآن:

أ– لغة: وقد اختلف العلماء في المعنى اللّغويّ للقرآن بين كونه اسما غير مشتقٍّ يدلّ على كتاب الله تعالى كما حال التوراة والإنجيل، وبين كونه مشتقّا من فعل مهموزٍ وهو قرأ يقرأُ قرآنًا، وفي كلّ الأحوال يبقى هذا المعنى اللّغوي سائغا في أن يستعمل ويطلق به الكتاب العزيز، أو يطلق ويراد به اشتقاق من الفعل قرأ[3].

ب– اصطلاحا: وردت تعريفاتٌ كثيرة للقرآن الكريمِ وكلّها تسبح في نفس الفلك، لذا نكتفي بذكر تعريف واحدٍ جمع كلّ تلك التعريفات بقولهم أنّه:

– كلام الله تعالى، المعجز، المنزّل على خاتم الأنبياء، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس[4].

– ثالثا: تعريف الإعجاز القرآني: ومن التّعريفات السّابقة يتبيّن لنا مفهوم الإعجاز القرآنيّ أنه عدم القدرةِ على تحدي القرآنِ الكريمِ والإتيانِ بمثله من البشر والجان، وفي هذا نذكر تعريفاتٍ أخرى نستأنس بها لهذا المفهوم للإعجاز القرآني:

– عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث[5].

– إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أى نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله[6].

المطلب الثّاني: أنواع الإعجاز القرآني:

يعتبر القرآن الكريم المعجزة الخالدة للنّبي محمّد عليه الصلاة والسلام، إذ هو كلام الله تعالى المعجز في إجماله وتفصيله وتحدّى به العالمين على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو حتّى سورة مثله، وما استطاع أحد من البشر أن يحاول خوض هذا التحدّي لأنّه يعلم علم اليقين بأنّ هذا القرآن معجز وليس ككلام البشر، وأنّ فيه الكثير من

---

[1] فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م، ص257.

[2] أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، 2003، ص21.

[3] بنظر: ابن منظور، المرجع السابق، ج1، ص129.

[4] عبد القادر محمد منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي – حلب، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م، ص195.

[5] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص263.

[6] الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الباحثين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر1423 هـ - 2002 م، ص692.

الأسرار التي لن يستطيع الإنسان أن يأتي بمثلها، وهذا ما يعرف بالإعجاز القرآني الذي هو بدوره ينقسم إلى عدّة أقسامٍ نذكرها كما يلي:

أوّلًا: الإعجاز اللّغوي والبلاغي: إنّ أهمّ خصائص القرآن الكريم أنّه سُبك بأحسن الألفاظ وأجملها، ويحوي أدقّ المعاني وأفضل المباني، فكانَ بديعا في نظمه وعجيبًا في تأليفه (والتّأليف هنا من تآلف ألفاظه وجمله وتناسقها مع بعضها)، وهذا ما يسمّى في البلاغة الحدّ الذي يعجز الطّوق البشري عن الإتيان بمثله، والبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ودقّة اللّفظ في انطباقه على المعنى المراد. وهذا ما أتى به القرآن الكريم من ترابط في المعاني ورصانة اللّغة وأسلوبها بكلّ مجالاتها من نحوٍ وصرفٍ وبلاغة، فقد أعجز شعراء وفصحاء وأقحاح العرب من قريشٍ إلى يومنا هذا، وأيقنوا بأنّ هذا الكلام ليس من صنع البشر ولا يمكن أن يكون، لأنّه لو كان لاعتراه الخطأ والزلل والتّناقض والاختلاف على غرار القرآن الذي كانَ متكاملا عجيبا رصينا، وهذا النّوع من الإعجاز هو الذي سيكون له نصيب أكبر في قادم صفحات بحثنا عندما نتكلّم عن الجانب النّحوي في القرآن وإعجازه، ويعتبر هذا الوجه من الإعجاز حجّة على العرب وحدهم لا غير، لأنّ غير العرب لا يمكن أن يُدركوا إعجازه وهم أصلا لا يملكون أدوات وآليات فهمها من نحو وصرف وبلاغة، بخلاف العرب الأقحاح فإنّهم بمجرد سماع جزء من هذا القرآن أيقنوا بأنّه يستحيل أن يأتوا بمثله وأنّ معجز في لغته وأسلوبه[1].

أمثلة من الإعجاز اللّغوي والبياني[2]:

- قال الله تعالى: "فالِقُ الْإِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْباناً"[3]، فكلمة "سكنا" لها مفرادات كثيرة ترادفها مثل هدوءً، وطمأنينة، ولكن المعنى الذي تبثه في شعورك الكلمة القرآنية، لا تجد شيئا منه في غيرها مهما تساوى معها في أصل الدلالة اللغوية.
- قال تعالى:" فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً"[4]، "مُتَّكَأً" كلمة قرآنية، تصور لك من الطّعام ذلك النوع الذي لا يقدّم إلا ترفا وتفكُّها وتجميلا للمجلس وتوفيرا لمظاهر المتعة فيه، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال إليه على حالة من الراحة والاتكاء. والكلمة من الألفاظ الكثيرة التي أبدع القرآن صياغتها واشتقاقاتها فتعلق العرب بها من بعد، ولولا ذلك لما اهتدوا إليها ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون.
- قال تعالى:" فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ"[5]، تأمّل تناسق الكلمات في كلّ جملة منها. ثم دقّق

---

[1] ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ - 1999 م، ص135. وينظر: أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، 1997، ص260 وما بعدها.

[2] ينظر : محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص139 وما بعدها.

[3] سورة الأنعام، الآية 96.

[4] سورة يوسف، الآية 31.

[5] سورة القمر، الآية 11-12.

نظرك، وتأمّل تآلف الحروف الرّخوة مع الشّديدة ومع المهموسة والمجهورة وغيرها. ثم أمعن في تآلف الحركات والسّكنات والمدود وتعاطفها مع بعضها. فإنّك إذا تأملت في ذلك علمت أن هذه الجمل القرآنية إنما صبّت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قدّر تقديرا بعلم اللطيف الخبير، وهيهات للمقاييس البشرية أن تقرى على ضبط الكلام بهذه القوالب الدقيقة.

- قال تعالى:" وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَها، لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ، وَعَلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذلِكَ. فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَتَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما. وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"[1]، فهذه آية واحدة صيغت من ستة أسطر قرآنية، أي مما لا يزيد على ستين كلمة، وقد تضمنت ثلاثة وعشرين حكما مما يتعلق بنظام الأسرة، لم يستخرج واحد منها تمحلا ولا تكلفا. بل هو بين أن تكون الآية دلّت عليه بصريح المنطوق أو بجلي المفهوم أو بمقتضى النص. وأنت لو رحت تحاول التعبير عن هذه الأحكام بصياغة جليّة دون اختصار مخلّ أو إطالة من غير لزوم، لاقتضى ذلك منك ما لا يقل عن خمسة وعشرين سطرا من الكلام أي خمسة أضعاف النص القرآني.

والأمثلة على هذه الشّاكلة كثيرة جدّا نكتفي بما ذكرناه فقط لنبيّن الحسّ الجماليّ اللّغويّ الإعجازي للقرآن الكريم وهذا ما تميّز به في كل جمله وكلماته.

ثانيًا: الإعجاز التّشريعيُّ: إنّ أوجه الإعجاز في القرآن الكريم اتّسعت لتصل إلى تشريعاته وأحكامه وأوامره ونواهيه، ومن المعلوم أنّ أساس قيام أيّ دولة وازدهارها لابدّ لها من قوانينَ محكمة جدّا تنظّم الحياة في مختلف مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية والسّياسية والثّقافية وغيرها، ومن أفلحَ في سنِّ هذه القوانين فقد نجح في إسهام تحقيق الازدهار والتقدّم والتّطور والانضباط والعدل وتحقيق المصالح وغيرها من مقاصد التّشريع، إلّا أنّ الجهد البشري يستحيل أن يكونَ كاملًا فهو يخضع إلى نزوات وشهواتٍ وهوى قد تأثّر في قوانينه وأحكامه، لذات غالبا ما نجد القوانين الوضعية عاجزة في معظم الحالات عن الحكم فيها، أمّا القرآن الكريم فقد حوى كمّا هائلا من الأحكام والتّشريعات ولكن العجيب الذي يستحقّ التّأمّل هو كمال هذه التّشريعات وعدم اختلافها وتناقضها وعجزها بل هي دائما ما تتوافق ومقاصد التّشريع من تحيقيق العدالة والمساواة وجلب المصالح ودرء المفاسد وتحقيق التكافل الاجتماعي والاستقرار السّياسي والتطّور الاقتصادي، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على إعجاز القرآن الكريم[2].

أمثلة من الإعجاز التّشريعي[3]:

---

[1] سورة البقرة، الآية 223.

[2] ينظر محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص153. وينظر: مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م، ص284.

[3] ينظر: مناع بن خليل القطان، المرجع السابق، ص285، 286.

- قال تعالى:" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"[1]، وقوله:" قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً"[2]، المتأمّل في هذه الآية يجد أنّ القرآن الكريم يؤكد وحدانية الله بالحجج القاطعة التي تقوم على المنطق العقلي السليم، فلا تقبل الجدال والمراء.
- والمتأمّل في تشريع الصّلاة يجدها أنّها تربط حياة الانسان بكلّ جوانبه بالله تعالى حينما تكون خمس مراتٍ في اليوم، وكذا فإنّ الزكاة تطهر النفس من الشّح والبخل وتحقق التكافل الاجتماعي، والصّوم يعلّم الإنسان حبس الشهوات وتقوية العزيمة والإرادة، والحج سياحة تروض النفس على المشقة والتأمل في آيات الله والالتقاء مع مختلف البشر من مختلف الدول.

ثالثا: الإعجاز العلمي: إنّ من أهمّ ما جاء به القرآن الكريم من أوجه الإعجاز هذا الذي يعني بالإخبار عن حقائق وظواهر لم تكن في العهد النّبوي ولا يمكن إدراكها آنذاك بالوسائل البشرية إلّا بعد قرونٍ من الزّمن تُوُصِّل إليها من خلال الدّراسات والبحوث والعلوم التّجريبية، والمتأمّل في القرآن يجد الكثير من الحقائق العلمية التي سبقهم بها قبل أربعة عشر قرنا[3].

مثال من الإعجاز العلمي:

قاله تعالى: "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَانَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"[4] ، قال: «وحرف (ثم) في قوله: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} للترتيب الرتْبي إذ كان خلق النطفة علقة أعجبَ من خلق النطفة، إذ قد صُير الماء السائل دَماً جامداً فتغير بالكثافة وتبدل اللون من عواملَ أودعها الله في الرحم.

ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم (العلَقة) فإنه وضْع بديع لهذا الاسم، إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم، بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم، والعلقة: قطعة من دم عاقد.

والمضغة: القطعة الصغيرة من اللحم مقدار اللقمة التي تمضغ، وقد تقدم في أول سورة الحج كيفية تخلُّق الجنين.

وعطف (جَعل العَلقةِ مُضغةً) بالفاء لأن الانتقال من العلقة إلى المضغة يشبه تعقيب شيء عن شيء، إذ اللحم والدم الجامد متقاربان، فتطورهما قريب، وإن كان مكث كل طورٍ مدة طويلة»[5].

رابعًا: الإعجاز الغيبي:

نقصد بالغيبيات تلك الإخبارات المتعلقة بأحداث مقبلة، والتي لم يظهرها بعد أيّ شاهد من العقل أو الحس أو الدلائل التي تعوّد الإنسان على الاعتماد عليها. سواء تعلقت هذه الأخبار بأحداث عامة، أو تعلقت بأناس أو

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 22.

[2] سورة الإسراء، الآية 42.

[3] ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين؟، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1433 هـ، ص168.

[4] سورة المؤمنون، الآية14.

[5] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، المرجع السابق، ص179.

فئات بأعيانهم، أو تعلقت بنواميس كونية، ففي القرآن آيات كثيرة أخبرت عن أحداث ستقع في زمن مقبل، وفيه آيات تحدّثت عن مصائر أشخاص بأعيانهم، وفيه نصوص تقرر قوانين ثابتة بالنسبة لكثير من المظاهر الكونية المحيطة بنا. وقد جاء الزمن فيما بعد بمصداق هذه الأخبار كلها، دون أن يكون عليها أيّ شاهد من قبل، من حس أو عقل أو أيّ بيّنة من البيّنات[1].

مثال عن الإعجاز الغيبي:

قال تعالى: "ألم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ..."[2]، ومن المعلوم كما رواه الترمذي وغيره، وكما هو ثابت في التاريخ أن الفرس انتصروا في معركة بقيادة «شربزان» على الروم، وذلك أيام كسرى. وكان المشركون يحبّون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإيّاهم أهل أوثان. وكان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب. فلما أنزل الله هذه الآية، وفيها إخبار كما ترى بأن الروم سيعودون فينتصرون على الفرس في بضع سنين، أي في أقل من عشر سنين، خرج أبو بكر يصيح بها في نواحي مكة. فقال له: أناس من قريش، فذلك بيننا وبينكم، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى ... وذلك قبل تحريم الرهان. فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان. وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع؟ ثلاث سنين أو تسع سنين؟ فسمّوا بينهم ست سنين، فمضت السنوات الست قبل أن يظهر الروم، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال: وأسلم عند ذلك كثيرون ... وفي رواية أخرى أنه لما مرّت السنوات الست ولم يظهر الروم. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبي بكر: ارجع فزدهم في الرهان واستردهم في الأجل، ففعل أبو بكر: فغلبت الروم في أثناء الأجل[3].

المبحث الثّالث: دور النّحو في فهم الإعجاز القرآني:

لقد سبق وأن تكلّمنا على أهمية النحو في فهم النّصوص والكلام وأنه يلعب دورا هامّا في ذلك، وأنّ القرآن من بين النصوص التي لابدّ من النّحو لإدراك معانيه ومقاصده وأسلوبه وجمالياته، وأنّ القرآن الكريم معجزٌ في أسلوبه ولغته، وهذا المبحث هو زبدة من الكلام الآنف إذ سنبيّن فيه مكانة النحو من الإعجاز القرآني ونحاول أن نستشهد بمجموعة من الأمثلة القرآنية كما يلي:

المطلب الأوّل: إسهام النحو في فهم الإعجاز القرآني:

يعدّ الإعجاز النّحوي من أبرز أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، إذ يعتبر ضربا من ضروب الإعجاز اللغوي الذي أعجز العرب الأقحاح وأرباب الفصاحة والبيان، فكان النّحو يلعب دورا فاصلا في فهم القرآن وإعجازه، وقد حاولت أن ألخّص بعض النّقاط في ذلك كما يلي:

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص148.

[2] سورة الروم، الآية 1-2.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي، المرجع السابق، ص180.

– التّمكّنُ من النّحو يقودُ إلى بيان إعجاز القرآن الكريم: إنّ المنتهي والمتمكّن في علم النّحو بمجرّد أن يقرأ القرآن الكريم أو يسمعه يدركُ تمامًا مدى الطّريقة العجيبة التي صيغت به ألفاظه دون خطأ ولا زللٍ وأنّ فيه الكثر من الأسرار لا يُمكن إدراكها إلّا من طريق التّمكن في النّحو، ولهذا لمّا أنزل القرآن أدركت قريشٌ أنّ هذا الكلام ليس بشعر ولا نثر ولا من صنع إنسان (رغم جحودهم) لمدى الإتقان المسبوك به ألفاظه، فبمجرّد إعراب القرآن على الوجه الصّحيح يُدرك مدى إعجازه، وقد قصّ السيوطيُّ قصّة فذا الباب قائلا:" قدم أعرابي في زمان عمر فقال: "من يقرئني مما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه وسلم؟"، فأقرأه رجل سورة براءة فقال {أنَّ الله بريءٌ من المشركينَ ورسوله} بالجرِّ فقال الأعرابي:" أو قد برىء الله من رسوله ! إن يكن الله قد برىء من رسوله فأنا أبرأ منه"، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المشركين ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال {أنّ الله بريء من المشركينَ ورسولِه}، فقلت: أو قد برىء الله من رسوله إن يكن الله قد برىء من رسوله فأنا أبرأ منه، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين فقال: {أن الله بريء من المشركين ورسولَه} فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله، منه فأمر عمر بن الخطّاب ألا يقرىء القرآن إلّا عالم باللّغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو"[1]، ومن هذه القصّة يتبيّن مدى بيان ضرورة علم النحو في فهم القرآن بشكلٍ عام والإعجاز بشكل خاص.

– التّدبّر مع الظّاهر الزمنية في القرآن الكريم يقودك للإعجاز القرآني: عندما نقف مع الظّاهرة الزمنية في القرآن الكريم نلحظ بوضوح أنّ القرآن الكريم قد استخدم أفعالا زمنية كما ذكرها النّحاة في قياسهم وفيها إعجاز تركيبيٌّ وغيبيٌّ وأخرى معجزة بذاتها يقف العقل حائرا عاجزا أمامه وأمام عظمتها[2]، وفيما يلي تفصيل ذلك[3]:

– فعل الأمر باتّفاق النّحويين فإنّه يفيد المستقبل أبدًا وينتهي زمنها بفعل الأمر والامتثال له، فلو قلنا مثلا: "اشتري هذا الكتاب" فإنّه بمجرّد شراء الكتاب ينتهي الزمن المحدّد في الفعل، أمّا أفعال الأمر في القرآن الكريم فهي أفعال معجزة خالدة خلود المعجز لأنّه من خلقه عز وجل وهذا الفعل الخالدة خلود الدهر معجز إعجازًا زمنيًا لا ينقطع مطلقًا وهذا سرّ إعجازه، فقوله تعالى:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ"[4]، فالخطاب هنا للنّبي صلى الله عليه وسلّم ومن بعده الجنس البشري كافة فهو مستمر حتى يوم القيامة وهذا سرّ إعجازه الزمني في حين قد لا نلحظ ذلك في الجمل الوضعية.

– إنّ الفعل المضارع إذا أطلق لابدّ وأن يرادَ به زمنٌ معيّن فهو في الغالب يصلح للحال، كما قد يطلق ويراد به الزمن الماضي إذا دخل عليه "لم" ولمّا" الجازمة و"لو" الشرطية غاليا، و"إذ" ز"ربما" و"قد" في بعض المواضع، كما أنّه قد يتخلص للاستقبال بظرف مستقبل وبإسنادٍ إلى متوقّع وباقتضائه طلبًا أو وعدًا وبمصاحبة ناصب أو أداةِ ترجٍّ أو

---

[1] جلال الدين السيوطي، سبب وضع علم العربية، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة – بيروت / دمشق، الطبعة: الأولى، 1409هـ 1988م، ص30.

[2] فتحي عبد الفتاح الدجيني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ-1984م، الطبعة الأولى، ص129.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص130 وما بعدها.

[4] سورة العلق، الآية 1.

اشفاق أو مجازاة أو "لو" المصدرية أو نون توكيد أو حرف تنفيس وهو السين أو "سوف"[1]، أمّا الاستعمال القرآني للمضارع فقد تميّز عمّا سبق من أقوال النّحاة ولم يجر عليه القياس، فبعض أفعال المضارع في القرآن الكريم أطلقت لوحدها لكنّها تشير إلى المستقبل كقوله تعالى:" إِنّ هذَا القُرْآنُ يهدي للتي هِيَ أَقْوَمُ"[2] فكلمة "يهدي" فعل مضارع يدلّ على الحال، كما أنّه يفيد أيضا الاستقبال رغم أنّه لم يلحق به ما سبق اشتراطه حتى يفيد ذلك. والأمثلة في هذا كثير سنذكر منها لاحقًا.

– يقول ابن مالك عن حالات الفعل الماضي أنّه "الفعل الماضي ينصرفُ إلى الحال بالإنشاء والاستقبال وبالطلب والوعد، وبالعطف على علم استقباله وبالنفي بلا وإن بع د القسم ويحتمل المضي والاستقبال بعد همزة التسوية وحرف التحضيض، وكلما، وحيث ويكون صلة أو صفة لنكرة عامة"[3]، قد بيّن ابن مالك الحالات التي ينصرف الفعل الماضي إليها، أمّا في القرآن الكريم فالأمر لا يخضع إلى تلك الحالات إطلاقا، فالماضي فعل معجز خالدٌ ، وينقسم إلى ثلاثة قسام:

1– إلغاء الظاهرة الزمنية في بعض الآيات، كقوله تعالى:" وكَانَ اللهُ غفُورًا رَحيمًا"، فكان فعل معجزٌ ملغى زمنيا، ولا يمكننا أن نربطها بالزمن الماضي مطلقا لأنها في التركيب السابق جاءت معجزة من الله تعالى رغم كونها فعل ماضٍ من حيث الشكل.

2– أفعال قرآنية جاءت بصيغة الماضي ولم تحدث، كقوله تعالى:" إنّا أعطيناكَ الكَوثر"، فالفعل من حيث الشكل ماضٍ لكنّه لم يحدث بعد.

3– أفعال قاس عليها النّحاة وهي ما كان بمعناها الحقيقي التي تفيد الزمن الماضي، إلّا أنها لا تخلو من إعجازٍ من حيث النّظمُ والغيبُ.

المطلبُ الثّاني: أمثلة قرآنية لمكانة النحو من التّوصل إلى الإعجاز اللّغويّ:

وفي هذا المطلب سنسرد جملة من الأمثلة القرآنية التي حوت الإعجاز النحوي، وإن كان القرآن كلّه معجز فغنّنا سنكتفي بذكر بعضها حتى يُكتمل التّصوّر لهذا الضّرب من الإعجاز على الوجه الأكمل[4]:

– استعمال أساليب نحوية خاصة للدلالة على المعنى المراد كقوله تعالى:" قَالوا إِنْ أَنْتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِثلُنَا"[5]، وقول الرّسل:" إِنْ نَحْنُ إِلّا بشَرٌ"[6]، فلما جعلوا الرسل بادّعائهم الرسالة كم اخرج نفسه من البشرية أخرج اللفظ ذلك المخرج،

---

[1] ينظر: جمال الدين محمد ابن مالك الطائي الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (1410هـ - 1990م)، ص17 وما بعدها.

[2] سورة الإسراء، الآية 9.

[3] ابن مالك، تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، ص6.

[4] ينظر: عقيلة لعشبي، الإعجاز البلاغي والنحوي في القرآن الكرين، مجلة اللّغة العربية، المجلد 21، العدد 46، سنة 2019، ص24-25.

[5] سورة إبراهيم، الآية 10.

[6] سورة إبراهيم، الآية 11.

فالرسل لم يجيبوا عليهم هنا بقولهم (إن نحن إلا بشر مثلكم) إعادة لعين مقالهم كما جرت عادة من ادّعى عليه الخلاف فيما لا يخالف فيه.

– قال تعالى: "فَأَصْبَحَ فِي المدِينةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فإذا الذي اسْتَنْصَرَهُ بالأمسِ يَسِتَصرِخُهُ قَال لهُ مُوسى إنّكَ لَغوِيّ مبينٌ (18) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ (19)"[1]، إذ قال النّحاة في إعراب "أنْ" بعد لما زائدة واعتبروها في هذا الموضع زائدة لا محلّ لها من الإعراب، وقد أعاب عليهم بعضهم هذا الكلام وقال هذا قدح في كلام الله تعالى إذ كيف يكون في كلامه زيادة لا حاجة إليها وهو الكلام المعجز؟ وأنّ النحاة لا علم لهم بمواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارها، لأنّه إذا ورد الفعل بعدها بإسقاط "أن" دلّ ذلك على الفور، وإذا لم تسقط لم يدل ذلك على الفور وإنما كان فيه تراخٍ وإبطاء، وورودها بعد "لمّا" دليل على أنّ موسى عليه السلام لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إليه لذا عبّر القرآن الكريم عن ذلكَ في قوله:" فلّما أن أَرادَ أن يَبْطِشَ".

– قال تعالى:" وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا"[2]، فالسّلام هنا معرّفة بأل التعريف، أمّا في قوله:" وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا"[3]، وفي قوله:" سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ"[4] فلم تعرّف كلمة "سلام"؛ لأنّ سلام يحيى سلام من الله وسلام ما منه كاف بخلاف عيسى فإنه طالبٌ لنفسه المطلوب في أعلى المراتب، وفيه إشعارٌ بذكر الله تعالى لأنّ السلام اسم من أسمائه الحسنى، والذاكر لاسمه السلام يتعرض لما اشتقّ منه المعاني، ولأنّ النّكرة لا يحسن منه لأنّها في تقديره: سلام مني عليك.

– قال تعالى:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)"، وقال أيضا:" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)"، وقال أيضا:" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)"، وإذا وقفنا مع هذه السّور الثلاثة فإنّنا نلحظ أنها تبدأ بفعل الأمر "قل" والمخاطب هو الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بعد الذين آمنوا به وبرسالاته الخالدة إلى يوم القيامة. وهذا ذواليك في معظم أفعال اتلأمر في القرآن الكريم.

– قال تعالى:" مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ"[5]، فالفعل المضارع "يدخلون" لم يحدث إلا عند الحساب يوم القيامة فهو فعل معجز أتى للاستناد الوضعي أن يصل إليه.

---

[1] سورة القصص، الآية 18-19.

[2] سورة مريم، الآية 33.

[3] سورة مريم، الآية 15.

[4] سورة الصّافات، الآية 79.

[5] سورة غافر، الآية 40.

– وقال أيضا:" يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"[1]، ذلك النّفخ لم يحدث وإن كانت الإشارة بكلمة يوم الظّرفية، لأنّه فعل معجز هيهات للاستناد الوضعي أن يصل إليه.

– قال تعالى:" إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)"[2] ، فأفعال الماضي في هذه الآيات يراد بها المستقبل رغم صياغتها على الماضي وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على إعجاز القرآن المطلق.

ويبقى القرآن الكريم معجزا في نمه ولغته وبيانه كله وليس بالأمر الهين أن نسرد كلّ إعجازه ونكتفي بهذه الأمثلة لكي تكتمل صورة الإعجاز فيه.

خاتمة:

يعتبر القرآن الكريم المعزة الخالدة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم من بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لما فيه من إعجازٍ بمختلف أنواعه ولاسيما اللّغوي والبياني والذي عجز أرباب البلاغة والبيان بأسلوبه المميز وخاصّة النحو فيه الذي كان موضوع بحثنا، وخلصنا إلى جملة من النتائج نسردها كالآتي:

– أهمية دراسة علم النحو المتمثل في دراسة أواخر الكلمِ من حيثُ الإعراب والنّطق الصحيح على الوجه العربيّ المبين وأنّه وسيلة لفهم القرآن الكريم وأداة للتفريق بين المعاني المختلفة ويساعد على معرفة اللغة العربيّة والوقوف على دلالاتها.

– للإعجاز القرآني أوجه كثيرة أهمّها الإعجاز اللّغويّ والبياني، والإعجاز التّشريعيّ، والإعجاز الغيبي، والإعجاز العلمي.

– يعدّ النحو آلية من آليات إدراكِ الإعجاز ومنه ظهر الإعجاز النّحوي في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العلمين.

---

[1] سورة النّبأ، الآية 18.

[2] سورة التكوير، الآية 1-14.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام بن محمّد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- ابن جنّي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408هـ - 1988م.
- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.
- خالد حسن العدواني، دراسات في النحو والدلالة، "soncag akademi"، أنقرة، 2021.
- السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م.
- أبو البقاء عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشره عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- محمد مليايي، علم النّحو وأهميته في صناعة المعاجم، مجلة إنسانيات، رقم17-18، 2022.
- الزجاجيّ، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الخامسة، 1406 هـ -1986 م.
- الزرقاني، مناهل العرفان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن، الطبعة: الثانية عشرة 1424هـ - 2003م.

- أحمد عمر أبو شوفة، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، 2003.
- عبد القادر محمد منصور، موسوعة علوم القرآن، دار القلم العربي – حلب، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الباحثين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر1423 هـ - 2002.
- محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ - 1999 م، ص135. وينظر: أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة.
- مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ-2000م.
- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الإعجاز العلمي إلى أين؟، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية، 1433هـ.
- جلال الدين السيوطي، سبب وضع علم العربية، تحقيق: مروان العطية، دار الهجرة - بيروت / دمشق، الطبعة: الأولى، 1409هـ 1988م.
- فتحي عبد الفتاح الدجيني، الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ-1984م، الطبعة الأولى.
- جمال الدين محمد ابن مالك الطائي الجياني، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى (1410هـ - 1990م).
- ابن مالك، تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي.
- عقيلة لعشبي، الإعجاز البلاغي والنحوي في القرآن الكرين، مجلة اللّغة العربية، المجلد 21، العدد 46، سنة 2019.
- مراد شوابكة، أهمية علم النحو، بحث منشور على موقع: www.mawdoo3.com